Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 44:2 (2009)

تفردات ابن عاشور النحوية في تفسيره عن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي

الضيف نطور

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سلك طريقه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

فإن القرآن الكريم بحر لا ساحل له، وموضوعاته كثيرة ومتشعبة، تتفاوت في بيانها وإيضاحها جهود المفسرين، بحسب اجتهاداتهم وابتكاراتهم وسعة علومهم. وإن من التفاسير التي نالت إعجابي: تفسير **التحرير والتنوير** للشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله وذلك لما يشتمل عليه من نكت علمية وفوائد وفرائد، وقد شدَّ انتباهي ما ذكره ابن عاشور في مقدمة تفسيره حين قال: "فجعلت حقاً عليَّ أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها"[١]. وهذا ما جعلني أفكر في جمع نكته العلمية المتعلقة بالمسائل النحوية، فجمعتها وقارنتها بما جاء في **تفسير الكشاف** للزمخشري[٢] و**المحرر الوجيز** لابن عطية[٣] و**أنوار التنزيل** للبيضاوي[٤]، باعتبار أن هذه الكتب من المصادر الأساسية في التفسير،

١- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٧.

٢- هو محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري المعتزلي عالم بالتفسير واللغة والنحو والبلاغة، ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٦٨هـ. انظر: محمد طاهر الفنجفيري، **نيل السائرين في طبقات المفسرين**، مطبعة إسلامي كتب خانة، بازار قصة خواني، بشاور، باكستان، ج ١، ص ١١٨.

٣- هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، أبو محمد، مفسر فقيه أندلسي، من أهل غرناطة، ولد سنة ٤٨١هـ، وتوفي سنة ٥٤٢هـ، من آثاره: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. انظر: الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٦، ٢٠٠٥م، ج ٣، ص ٢٨٢.

٤- هو عبد الله بن عمر بن محمد علي البيضاوي الشيرازي القاضي، ولد بمدينة البيضاء بفارس قرب شيراز، وتوفي بتبريز سنة ٦٨٥هـ انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٤، ص ١١٠.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

وأصحابها من كبار العلماء العارفين باللغة والنحو فخرجت بمجموعة من التفردات، أحببت أن أنشرها ليستفيد منها أهل العلم والمعرفة، خاصة وأن هذا البحث جديد لم أسبق إليه فيما أعلم.

التمهيد:

يجدر بي ابتداءً قبل أن أبين التفردات النحوية لابن عاشور في تفسيره **التحرير والتنوير**، أن أقدم نبذة موجزة عن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وأبين معنى كلمة تفرد، ثم أعرف بالنحو في اللغة والاصطلاح.

أولاً: نبذة موجزة عن الطاهر بن عاشور:

١- مولده ونشأته العلمية(٥):

ولد محمد الطاهر بن عاشور بضاحية المرسى بتونس في جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ الموافق لسبتمبر سنة ١٨٧٩م. وقد نشأ نشأة علمية ابتدأها منذ السنة السادسة من عمره، فحفظ القرآن الكريم، ودرس اللغة والنحو والبلاغة والسيرة والحديث والتفسير والفقه وأصول الفقه والفرائض والمنطق والعقائد وعلم الكلام. ولما بلغ عمره أربع عشرة سنة عام ١٨٩٣م دخل جامع الزيتونة وواصل تعليمه هناك بكل جد واجتهاد حتى حصل على الشهادة العالمية سنة ١٨٩٩م.

وقد تتلمذ على مشايخ كثيرين أشهرهم: الشيخ صالح الشريف التونسي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ، والشيخ سالم بوحاجب المتوفى سنة ١٣٤٤هـ، والشيخ محمد عمر بن الشيخ المتوفى سنة ١٣٢٩هـ. وتخرج على يديه مجموعة من التلاميذ العلماء أشهرهم: الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري المتوفى سنة ١٩٤٠م، والشيخ محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور المتوفى ١٩٧٠م، والشيخ محمد الحبيب بن الخوجة مفتي الديار التونسية سابقاً.

٥- انظر ترجمته في المراجع التالية: الزركلي، **الأعلام**، ج ٦، ص ١٧٤، عادل نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، ج ٢ ص ٥٤١، ٥٤٢، عبد القادر زمامة وآخرون، **معجم تفاسير القرآن الكريم**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، مطبعة إيديال، الدار البيضاء، المغرب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٢٣، ١٢٤، ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج ١، ص ٩٦، هيا ثامر مفتاح العلي، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير**، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٩٩٤م، ص ٢٥، ٢٦.

٢- تدريسه ووظائفه:

أـ تدريسه:

بعدما أكمل ابن عاشور دراسته بجامع الزيتونة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م شرع في التدريس بنفس الجامع والمدرسة الصادقية، وقد كان نشيطاً جداً في تدريسه، وصاحب ثروة علمية كبيرة، يحضِّر دروسه بإتقان قبل إلقائها على تلاميذه ومناقشتها معهم. وما إن مرت سنوات قليلة من بداية تدريسه حتى سطع نجمه في سلك التعليم، وأصبح مدرساً في الرتبة الأولى[٦]، يدرّس مختلف العلوم والفنون، منها التفسير ومقاصد الشريعة، واللغة، وأصول الفقه، و**ديوان الحماسة** بشرح المرزوقي[٧] و**دلائل الإعجاز** للجرجاني[٨] والبلاغة من مصادرها الأصلية.

يقول عنه تلميذه الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة[٩]: "ولم يأل هذا المصلح الشهير والعلامة المنقطع النظير جهدا في السير بالتعليم الزيتوني إلى أقصى ما بلغ إليه في حياته فكان المدرس الناجح المثالي فيما ألقاه على طلبته من دروس في مختلف العلوم والفنون، الشرعي منها واللغوي. وإنا لا نزال نذكر من دروسه في التفسير وفي مقاصد الشريعة وفي الأصول وفي الفقه، كما أننا لا ننسى عنايته بالجانب اللساني والأدبي، إذ درّس **ديوان الحماسة** بشرح المرزوقي، وعلوم البلاغة من أمهات مصادرها، شارحاً لما احتوته من القواعد وقوانين النظم، ومناقشا لآراء الأئمة المتقدمين، مدليا بدلوه بما أفاء الله عليه من دقيق الفهم وعمق النظر وجودة التعليق والملاحظة"[١٠].

٦- للتدريس بجامع الزيتونة في زمن ابن عاشور مراحل ومراتب: مرحلة التطويع، ثم مدرس في الرتبة الثانية وآخرها مدرس في الرتبة الأولى.

٧- هو أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي عالم بالأدب من أهل أصبهان توفي سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، من آثاره: **شرح ديوان الحماسة** لأبي تمام في أربعة مجلدات، و**الأمالي** و **غريب القرآن**. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ١، ص ٢١٢. وانظر: ياسين صلاواتي، **الموسوعة العربية الميسرة والموسعة**، ص ٣٢١٤.

٨- هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني أبو بكر، واضع أصول البلاغة من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان)، توفي سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م من آثاره: **أسرار البلاغة** و **دلائل الإعجاز**. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٤، ص ٤٨، ٤٩.

٩- أحد تلاميذ ابن عاشور المشهورين.

١٠- محمد الفاضل بن عاشور، **التفسير ورجاله**، تذييل محمد الحبيب بن الخوجة، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٢٢٢.

ب ـ وظائفه:

إضافة إلى وظيفة التدريس التي مارسها الشيخ ابن عاشور في جامع الزيتونة، ومدرسة الصادقية، اشتغل رحمه الله في وظائف أخرى هامة ومعتبرة، حيث عين قاضيا للقضاة سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م. وعُيِّن شيخاً للإسلام مالكيا سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م، وسمي شيخ الجامع الأعظم وفروعه عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م ثم شيخاً عميداً للجامعة الزيتونة عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م. كما شارك في تأسيس الجمعية الزيتونية والجمعية الخلدونية، وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م[١١]. وشارك في مختلف مجالات الإصلاح بتونس وخاصة الإصلاح التعليمي والاجتماعي[١٢].

٣ـ وفاته وآثاره العلمية[١٣]:

توفي الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله بتونس سنة ١٣٩٣هـ الموافق لسنة ١٩٧٣م. وقد ترك مجموعة هائلة من المؤلفات أهمها:

١- **التحرير والتنوير** المعروف بتفسير ابن عاشور في ثلاثين جزءاً.
٢- **كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.**
٣- **مقاصد الشريعة الإسلامية.**
٤- **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.**
٥- **أصول الإنشاء والخطابة في فن الأدب.**
٦- **موجز البلاغة.**
٧- **أليس الصبح بقريب؟**

ثانياً: معنى كلمة تفرد:

قال ابن دريد[١٤]: "الفرد: الواحد، والله تبارك وتعالى الفرد، وكل شيء متوحد فقد انفرد،

١١- عادل نويهض، **معجم المفسرين**، ج ٢، ص ٥٤١، ٥٤٢. وانظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٦، ص ١٧٤. وتركي رابح، **كتاب الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ط ٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٥٩. وقد تعرض الدكتور تركي رابح للكلام عن ابن عاشور عند بيانه لشيوخ ابن باديس الذي يعتبر ابن عاشور من أبرزهم.

١٢- انظر: الفاضل بن عاشور، **التفسير ورجاله**، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣.

١٣- انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٦، ص ١٧٤.

١٤- هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب. قيل عنه أنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة سنة ٢٢٣هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢١هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٦، ص ٨٠.

وكأن أصل الفرد: الذي لا نظير له ...، وظبية فاردة، والجمع فوارد، إذا انقطعت عن قطيعها وانفردت..."[١٥]. و "الفرد ما كان وحده، يُقَال: فَرَد يَفْرِدُ، وانفرد انفراداً، وأفردته: جعلته واحداً. والفريد الشذر، الواحدة: فريدة،... والله الفَرْد: تَفَرَّدَ بالربوبية والأمر دون خلقه"[١٦].

وجاء في **لسان العرب**: فَرَدَ: الله تعالى وتقدس هو الفرد، وقد تفرد بالأمر دون خلقه. والفرد والفرود بالفتح والضم: أي هو منقطع القرين لا مثل له في جودته. والفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره. وقيل: الفريد بغير هاء: الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها. يقال: وفرد بالأمر يفرد وتفرد، وانفرد واستفرد. ويقال فرد برأيه وأفرد، وفرَّد واستفرد بمعنى: انفرد به[١٧].

وجاء في **تاج العروس**: فرد بالأمر وأفرد وانفرد استفرد إذا تفرد به ... والفارد من السكر: أجوده وأبيضه. وسيف فرد وفرد: لا نظير له من جودته[١٨].

وذكر الزمخشري[١٩] في **الأساس**: فرد ـ هذا شيء فرد وفارد، وفريد ... وظبية فارد: منقطعة عن القطيع، وهو فارد بهذا الأمر أي منفرد به ... واستفردتُ فلاناً: انفردت به[٢٠].

وجاء في **القاموس القويم للقرآن الكريم**: الفرد: نصف الزوج ويطلق على ما لا نظير له. وقوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[٢١] أي: لا أحد معه من الأبناء أو الأعوان، ومثله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾[٢٢] أي ليس معكم مال ولا أهل ولا صديق[٢٣]. قال الزمخشري[٢٤]: "فرادى": منفردين عن أموالكم وأولادكم

١٥- ابن دريد، **جمهرة اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج ١، ص ٧٥٠.

١٦- خليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم، إيران، ط ١، ١٤٠٥هـ،ج ٨، ص ٢٤، الفعل: فرد.

١٧- انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٩.

١٨- انظر: الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج ٨، ص ٤٨٢ ـ ٤٩٠.

١٩- سبقت ترجمته.

٢٠- الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود، بدون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع، ص ٢٢٧.

٢١- سورة مريم، الآية: ٨٠.

٢٢- سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

٢٣- انظر: إبراهيم أحمد عبدالفتاح، **القاموس القويم للقرآن الكريم**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٧٥.

٢٤- سبقت ترجمته.

وما حرصتم عليه وآثرتموه عن دنياكم وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله"[٢٥].

ويستخلص من كل ما سبق أن كلمة "تفرد" يدور فلكها حول ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: الفرد بمعنى ما كان وحده كتفرد الله تعالى بالربوبية والأمر دون خلقه، وتفرد الإنسان عن غيره بالأمر أو الرأي وإتيانه بالشيء الذي لم يأت به غيره.

المعنى الثاني: الجودة التي لا نظير لها كالسيف الفرد، والفارد من السكر، والجوهرة الفريدة.

المعنى الثالث: الانعزال التام كالثور الفارد، المنفرد عن القطيع، والظبية الفاردة: إذا انقطعت عن قطيعها وانفردت.

والتفرد الذي أعني به في بحثي هو ما جاء في الشطر الثاني من المعنى الأول وهو تفرد الإنسان عن غيره بالأمر أو الرأي وإتيانه بالشيء الذي لم يأت به غيره بمعنى أن ابن عاشور جاء في تفسيره بأشياء لم يأت بها غيره، فتفرد بها عنهم.

وما دام التفرد في موضوعي مقيدا بثلاثة من كبار المفسرين، فإن الذي أحرص على بيانه في البحث هو إثبات تفرد ابن عاشور عن هؤلاء المفسرين الثلاثة (الزمخشري وابن عطية والبيضاوي) وأحياناً أثبت تفرده عن جمهور المفسرين.

ثالثاً: تعريف النحو لغةً واصطلاحاً:

١- النحو لغة: هو القصد. قال ابن فارس[٢٦]: "نحو: النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد، ونحوت نحو، ولذلك سمي نحو الكلام لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به"[٢٧].

٢- النحو اصطلاحاً: هو "علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما"[٢٨]. وعرّفه ابن جني[٢٩] بقوله: "هو انتحاء سَمْتِ كلام العرب، في تصرفه من

٢٥- الزمخشري، **تفسير الكشاف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٤٤.

٢٦- هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م، وتوفي سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م. من آثاره: **معجم مقاييس اللغة**، انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ١، ص ١٩٣.

٢٧- أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، إيران، ١٤٠٤هـ، ج ٥، ص ٤٠٣. وانظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٥، ص ٣٦٠.

٢٨- محمد عبد الرؤوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ٦٩٣.

٢٩- هو عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ، انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٤، ص ٣٥٠.

إعراب وغيره، كالتشبيه، والجمع والتحقير، والتكبير والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس بأهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطلق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم رُدَّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم، وكما أن بيت الله خص بالكعبة، وإن كانت البيوت كلها لله"(٣٠).

التفردات النحوية عند الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير:

اهتم ابن عاشور في تفسيره بالمسائل النحوية اهتماماً بالغاً، حيث لا يكاد يمر بآية قرآنية إلا ويتعرض لبيان تراكيب مفرداتها وجملها، فيعربها ويبين الدقائق العلمية التي تحويها، وقد جاء في ذلك بنكت علمية تفرد بها عن غيره من كبار المفسرين كالزمخشري وابن عطية والبيضاوي. وهذه التفردات هي كالتالي:

الأول: اعتباره فتحة "كيف" فتحة نصب، لا فتحة بناء.

اعتبر الطاهر بن عاشور أن فتحة "كيف" فتحة نصب وليست فتحة بناء، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾(٣١) فقال: "... وجرى في كلام بعض أهل العربية أن فتحة "كيف" فتحة بناء. والأظهر عندي أن فتحة "كيف" فتحة نصب لزمتها لأنها دائماً متصلة بالفعل فهي معمولة له على الحالية أو نحوها، فلملازمة ذلك الفتح إياها أشبهت فتحة البناء"(٣٢).

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أن الزمخشري قد سكت عن فتحة كيف(٣٣)، وتبعه في ذلك البيضاوي(٣٤)، إلا أن ابن عطية قد تعرض

٣٠- أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٣٥٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٥.

٣١- سورة آل عمران، الآية: ٦.

٣٢- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٣، ص ١٣.

٣٣- انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج ١، ص ١٢٥، ١٢٦، ٣٣١، ج ٤، ص ٤٥، ٦١، ٣٧١، ٥٦٨، ٥٨٠، ٦٠٦، ٦٢٨، ٧٣١.

٣٤- انظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م، مج ١، ج ١، ص٢٥، ١٠٦، ١٠٧، مج ١، ج ٢، ص ٦، ١١، ٢٦، ٢٧، ٣١، ١٢٤، مج ٢، ج ٥، ص ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٣٩.

لبيان هذه الفتحة، فذكر أن "كيف" مبنية، وخصت بالفتح لخفته[٣٥]. وبهذا يتضح أن ابن عاشور قد تفرد عن هؤلاء الأئمة الثلاثة، لأنه في الوقت الذي بين فيه ابن عطية أن "كيف" مبنية، وليست معربة، وسكت عن ذلك الزمخشري والبضاوي، جاء ابن عاشور وخالفهم في ذلك، واعتبر أن "كيف" معربة وليست مبنية.

والظاهر أن ما ذهب إليه ابن عاشور مرجوح، وما ذكره ابن عطية راجح، لأن مذهب ابن عطية يستند إلى أدلة قوية، وهو مذهب الجمهور. قال الجوهري[٣٦]: "كيف: اسم مبهم غير متمكن، وإنما حرك آخره لالتقاء الساكنين، وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء"[٣٧]. وقال أبو جعفر النحاس[٣٨]: "كيف" في موضع نصب وهي مبنية على الفتح وكان سبيلها أن تكون ساكنة لأن فيها موضع الاستفهام فأشبهت الحروف، واختير لها الفتح من أجل الياء"[٣٩]. وذكر أبو البقاء[٤٠] الدليل على كون "كيف" اسما، وبين سبب بنائه، وسر بنائه على الفتح. فقال: "كيف: هو اسم مبني على الفتح، والدليل على كونه اسماً دخول حرف الجر عليه، يقال: "على كيف تبيع"، وإنما بني لأنه شابه الحرف شبهاً معنوياً لأن معناه الاستفهام، وأصل الاستفهام الهمزة وهي حرف وإنما بني على الفتح للخفة وكذا أين"[٤١]. وقال

٣٥- انظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ، مج ١، ص ١١٣.

٣٦- هو إسماعيل بن حماد الجوهري، لغوي، أديب أصله من بلاد الترك، ورحل إلى العراق وتعلم العربية هناك، توفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ، انظر: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٢٦٧.

٣٧- الجوهري، **الصحاح**، ج ٤، ص ١٤٢٥.

٣٨- هو أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، أبو جعفر، من أهل مصر، رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد والأخفش والزجاج، وعاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٣٧هـ، من تصانيفه: **تفسير القرآن الكريم** و كتاب **إعراب القرآن**، وكتاب **الناسخ والمنسوخ** وكتاب في النحو وآخر في الاشتقاق. انظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، دارالغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤٦٨، ٤٦٩.

٣٩- الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن النحاس، **إعراب القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مج ١، ص ٤١.

٤٠- هو أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء صاحب **الكليات**، كان من قضاة الأحناف، توفي باستانبول سنة ١٠٩٤هـ. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٢، ص ٣٨.

٤١- أبو البقاء الكفوي، **كتاب الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١١٩٥، ١١٩٦.

السمين(٤٢): "كيف: اسم استفهام يسأل به عن الأحوال، وبني لتضمنه معنى الهمزة ..."(٤٣).

الثاني: إعرابه لموقع جملة ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡ ﴾(٤٤).

ذكر ابن عاشور أن المفسرين قد سكتوا عن موقع إعراب قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡ ﴾ واعتبر أن إعراب هذه الجملة دقيق، فقال: "وجملة: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡ ﴾ يجوز أن تكون معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ﴾(٤٥) الخ باعتبار أن الدواب مشبه به الذين قالوا ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾(٤٦) ويجوز أن تكون معطوفة على شبه الجملة في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾(٤٧) وقد سكت المفسرون عن موقع إعراب هذه الجملة وهو دقيق"(٤٨).

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة وغيرها من التفاسير فوقفت على أن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي وغيرهم قد سكتوا فعلاً عن إعراب هذه الجملة القرآنية(٤٩)، مما يؤكد أن ابن عاشور قد تفرد

٤٢- هو أحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي أبو العباس، المعروف بالسمين، مفسر عالم بالعربية والقراءات، شافعي من أهل حلب، توفي سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، من آثاره: **تفسير القرآن**، **والدر المصون**. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص ٢٧٤.

٤٣- أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم للطباعة والنشروالتوزيع، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٣٧، وانظر: بهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مج ٢، ص ٨.

٤٤- سورة الأنفال، الآية: ٢٣.

٤٥- سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

٤٦- سورة الأنفال، الآية: ٢١.

٤٧- سورة الأنفال، الآية: ٢١.

٤٨- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٩، ص ٦٢.

٤٩- انظر: الزمخشري، **الكشاف**، مج ٢، ص ٢٠٢، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٢، ص ٥١٤، والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ١، ج ٣، ص ٥٥، وانظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج ٤، ص ٦٠٧، وانظر: السمين، **الدر المصون**، ج ٣، ص ٤١٠، وانظر: النحاس، **إعراب القرآن**، مج ٢، ص ٩٥، وانظر: نظام الدين النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، مج ٣، ص ٣٨٧.

عنهم بإعرابها، حيث جوز لها حالتين من العطف، وبين ما عطفت عليه. والظاهر أن المعطوف عليه في كلا الوجهين صحيح، لأن السياق القرآني يوافقه ويقتضيه.

الثالث: مخالفته للمفسرين في إعراب جملة ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾(٥٠).

ذكر ابن عاشور أن جملة: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ في موضع الحال، وخالف في ذلك: المفسرين الذين جعلوها معطوفة على ما قبلها(٥١). فقال:

> "وجملة: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ في موضع الحال، أي: خفف الله عنكم وقد علم من قبل أنّ فيكم ضعفاً فالكلام كالاعتذار على ما في الحكم السابق من المشقّة بأنّها مشقة اقتضاها استصلاح حالهم، وجملة الحال المفتتحة بفعل مضي يغلب اقترانها بـ "قد" وجعل المفسّرون موقع ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ موقع العطف فنشأ إشكال أنّه يوهم حدوث علم الله تعالى بضعفهم في ذلك الوقت، مع أنّ ضعفهم متحقّق، وتأوّلوا المعنى على أنّه طرأ عليهم ضعف، لما كثر عددهم، وعلمه الله فخفّف عنهم، وهذا بعيد لأنّ الضعف في حالة القلّة أشدّ.
>
> ويحتمل على هذا المحمل أن يكون الضعف حدث فيهم من تكرر ثبات الجمع القليل منهم للكثير من المشركين، فإن تكرر مزاولة العمل الشاق تفضي إلى الضجر"(٥٢).

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي، فوقفت على أنهم قد سكتوا عن إعراب هذه الجملة(٥٣)، مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بإعرابها.

أما مخالفته لبعض المفسرين عندما جعل هذه الجملة القرآنية في موضع الحال، وهم جعلوها

٥٠- سورة الأنفال، الآية: ٦٦.

٥١- انظر: أبو حفص عمر، **تفسير اللباب**، دارالكتب العلمية، بيروت، ج ٩، ص ٥٦٠، والرازي، **مفاتيح الغيب**، دارالكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١٥، ص ١٥٦، بهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**، مج ٤، ص ٢٣٢.

٥٢- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٩، ص ١٥٧، ١٥٨.

٥٣- انظر: الزمخشري، **الكشاف**، مج ٢، ص ٢٧٧. وابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٢، ص ٥٥١. والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ١، ج ٢، ص ٦٦.

معطوفة على ما قبلها، فراجح لأن العطف ــ كما ذكر ــ يحدث إشكالاً بالتشكيك في علم الله، بسبب أنه يوهم أن الله قد علم ضعفهم في ذلك الوقت، وهذا محال ومجانب للصواب، لأن علمه تعالى بالأفعال يكون في كل الأحوال. وبالتالي فإن إعراب الجملة في موضع الحال أليق وأنسب وأرجح.

الرابع: إعرابه لـ: "الواو" في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾(٥٤).

ذكر ابن عاشور أن "الواو" في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾ واو العطف، وأن المفسرين قد سكتوا عن بيان موقعها من الإعراب. فقال: "والواو في قوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾ لم يعرج المفسرون على موقعها. وهي واو العطف عطف بها (خزنة جهنم) كلامهم على كلام الذين في النار من قبيل طريقة عطف المتكلم كلاماً على كلامٍ صدر من المخاطب إيماء إلى أن حقه أن يكون من بقية كلامه وأن لا يُغفله، وهو ما يلقب بعطف التلقين"(٥٥)(٥٦).

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على سكوتهم عن إعراب "الواو" في هذه الجملة القرآنية(٥٧)، كما سكت عن إعرابها أبو حيان(٥٨) والسمين(٥٩) والنحاس(٦٠). والظاهر أنها واو العطف(٦١)، كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور.

٥٤- سورة غافر، الآية: ٥٠.

٥٥- عطف التلقين: هو "عطف المخاطب كلاماً على ما وقع في كلام المتكلم تنزيلاً لنفسه في منزلة المتكلم يُكمِّل له شيئاً تركه المتكلم إما عن غفلة وإما عن اقتصار فيلقنه السامع تداركه بحيث يلتئم من الكلامين كلام تام في اعتقاد المخاطب". ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١، ص ٦٨٥.

٥٦- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٤، ص ٢١٤.

٥٧- انظر: الزمخشري، **تفسير الكشاف**، مج ٤ ص ١٦٧. وانظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٤ ص ٥٦٣. وانظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ٢، ج ٥، ص ٦٠.

٥٨- هو محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤هـ وتوفي سنة ٧٥٤هـ. كان عالماً بالتفسير والنحو والقراءات ..، انظر: الداودي، **طبقات المفسرين**، دارالكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٢٨٧، وانظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٧، ص ٦٢٢، ٦٢٣.

٥٩- سبقت ترجمته. وانظر: **تفسيره الدر المصون**، ج ٦، ص ٤٧.

٦٠- سبقت ترجمته وانظر: أبو جعفر النحاس، **إعراب القرآن**، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٤٧.

٦١- انظر: الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، مج ٨، ص ٤٩٨.

الخامس: بيانه لموقع "الواو" في قوله تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾(٦٢).

ذكر ابن عاشور أنه لم ير أحداً من المفسرين تطرق إلى بيان موقع "الواو" في قوله تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾، وبيّن أنه يعرب على وجهين: إما أن يكون حالاً أو اعتراضاً. فقال:

"وموقع الواو في قوله ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ لم أر أحدا من المفسرين عرج على بيانه وهي تحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون واو الحال والجملة حال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهي حال مؤسسة غير مؤكدة باعتبار ما اتصل بها من الجملة المعطوفة عليها وهي جملة ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ فقوله ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ هو مناط الفائدة من الحال وما قبله تمهيد له وتنصيص على أن مكرهم يقارنه مكر الله بهم والمضارع في ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ و ﴿وَيَمۡكُرُ﴾ الله لاستحضار حالة المكر.

وثانيهما: أن تكون واو الاعتراض أي العطف الصوري ويكون المراد بالفعل المعطوف الدوام أي هم مكروا بك ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك وهم لا يزالون يمكرون كقول كعب بن الأشرف(٦٣) لمحمد بن مسلمة(٦٤) "وأيضاً لتملنه " يعني النبي فتكون جملة ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ معترضة ويكون جملة ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والمضارع في جملة ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ للاستقبال والمضارع في ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ لاستحضار حالة مكر الله في وقت مكرهم مثل المضارع المعطوف هو عليه"(٦٥).

٦٢- سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

٦٣- هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان، شاعر جاهلي، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، وكان سيدا في أخواله، أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فقتله خمسة من الأنصار في ظاهر حصنه سنة ٣هـ/ ٦٢٤م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٥، ص٢٢٥.

٦٤- هو محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبدالرحمن المدني، صحابي شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث، ولد سنة ٣٥ق.هـ، ومات بالمدينة سنة ٤٣هـ وله ٧٧ سنة. انظر: ابن حجر، **الإصابة في معرفة الصحابة**، مكتبة المثنى، بغداد، مج ٣، ج ٦، ص ٦٣. وانظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٧، ص ٩٧.

٦٥- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٩، ص ٨٢.

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أنهم قد سكتوا عن بيان موقع "الواو" في قوله تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ مما يدل على أن ابن عاشور قد تفرد عنهم(٦٦)، بل إن جمهور المفسرين لم يعرجوا على إعراب "الواو" في هذه الجملة(٦٧).

والظاهر أن ما ذهب إليه ابن عاشور يُعَدُّ صواباً، حيث يجوز أن تكون "الواو" في قوله ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ واو الحال، والجملة التي بعدها حال من ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾. ويحتمل أن تكون "الواو" عاطفة(٦٨)، والمراد بالفعل المعطوف ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ الدوام والاستمرار في المكر.

السادس: تفرده بتقدير معطوف في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾(٦٩).

ذكر ابن عاشور أن ظاهر هذه الآية يشير إلى: أن الفريق المأمور بقتاله هو فريق واحد انتفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر، وتحريم ما حرم الله، والتدين بدين الحق(٧٠). ولكن بهذا الاعتبار ـ كما يرى ابن عاشور ـ يقع إشكال وهو أن اليهود والنصارى لم يعرف عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فهم مثبتون لوجود الله، ومؤمنون بيوم الجزاء(٧١).

وعلى هذا الأساس ذهب ابن عاشور إلى تقدير معطوف فأدخل المشركين في الآية واعتبرهم هم

٦٦- انظر: الزمخشري، **الكشاف**، مج ٢، ص ٢٠٩. وانظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٢، ص ٥١٩. وانظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ٢، ج ٣، ص ٥٧.

٦٧- انظر مثلاً الكتب التالية: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٤، ص ٦١٧، السمين، **الدر المصون**، ج ٥، ص ٥٩٦، أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج ٣، ص ١٩. الآلوسي، **روح المعاني**، دارالفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مج ٦، ج ٩، ص ٢٨٧، حسين بن أبي العز الهمداني، **الفريد في إعراب القرآن المجيد**، تحقيق فهمي حسن النمر وفؤاد علي صمر، دارالثقافة، الدوحة، قطر، ط١، ١٤١١هـ،مج ٢، ص ٤١٧. أبو البركات عبدالرحمن بن الأنباري، **البيان في إعراب غريب القرآن**، شركة دارالأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ج ١، ص ٣٢٨.

٦٨- انظر: بهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**، مج ٤، ص ١٩١.

٦٩- سورة التوبة، الآية: ٢٩.

٧٠- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٠، ص ٦٥.

٧١- المرجع السابق، ج ١٠ ص ٦٥.

المعنيين بعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله. وأما الصفة الثالثة ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ فهي في رأيه متعلقة باليهود والنصارى.

فكأنه يقول: إن قوله تعالى بعد تقدير المعطوف هو: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ (وهم المشركون) ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (وهم اليهود والنصارى) ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

واعتبر ابن عاشور أن جمهور المفسرين الذين فسروا الآية على ظاهرها ولم يدخلوا فيها المشركين متعسفون(٧٢).

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أنهم لم يقدروا في تفسيرهم للآية معطوفاً، ولم يدخلوا فيها المشركين(٧٣). وبهذا يتضح أن ابن عاشور قد تفرد عنهم بتقديره لهذا المعطوف الذي أتى به في هذه الآية.

والحق أنَّ ما قدره ابن عاشور مرجوح لأنه يتعارض مع سياق الآية التي ختمت بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ والمشركون غير معنيين بالجزية فليس لهم إلا الإسلام أو السيف كما نص عليه الفقهاء(٧٤).

أما ما اعتبره ابن عاشور بأن أهل الكتاب مؤمنون بالله وبيوم الجزاء، فليس كذلك لأنهم "تركوا شرع الإسلام الذي يجب عليهم الدخول فيه، فصار جميع ما لهم من البعث وفي الله عز وجل من تخيلات واعتقادات لا معنى لها، وأيضاً فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة لأنهم تشعبوا وقالوا: عزير ابن الله وإن الله ثالث ثلاثة وغير ذلك، ولهم أيضاً في البعث آراء كشراء منازل الجنة من الرهبان، وقول اليهود في النار نكون فيها أياماً بعد ونحو ذلك ..."(٧٥).

٧٢- انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٠، ص ٦٥، وانظر: الزهراني، **أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير**، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (غير مطبوعة)، ص ٥٠٨.

٧٣- انظر التفاسير التالية: الزمخشري، **تفسير الكشاف**، مج ٢، ص ٢٥٤، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٣، ص ٢١، ٢٢، البيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ١، ج ٣، ص ٧٧، ٧٨.

٧٤- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، لبنان، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، مج ٤، ج ٨، ص ١١٠، ١١١، وانظر: عمر بن محمد بركات البقاعي، **فيض الإله المالك في حل ألفاظ عمدة السالك وعدة الناسك**، كتاب الجنايات، فصل في الجهاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، مج ٢، ص٥٤٣.

٧٥- ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ٣، ص ٢١.

وأما ما ذكره ابن عاشور حين قال: "والذي أراه في تفسير هذه الآية أن المقصود الأهم منها قتال أهل الكتاب من النصارى كما علمت، ولكن أدمجت معهم المشركين لئلا يتوهم أحد أن الأمر بقتال أهل الكتاب يقتضي التفرغ لقتالهم ومتاركة قتال المشركين"(٧٦). فكلام مردود لأن هناك آيات أخرى غير هذه تتحدث بصراحة عن قتال المشركين مثل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٧٧) وقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(٧٨) فلا داعي لتقدير معطوف وإدماجهم في تلك الآية.

وقد اعترض الدكتور الزهراني على ابن عاشور في تقديره للمعطوف في هذه الآية، واعتبر ما ذهب إليه تفرداً منه عن جمهور المفسرين، فقال: "وهذا التقدير المفهوم من كلام ابن عاشور انفرد به دون سائر المفسرين، واعتبر أن المفسرين قبله قد تحيروا في تفسيرها وتأولوها تأولات وصفها بأنها تكلف وتعسفات مع أن هذا الفصل في اعتبار المأمور بقتالهم لا حاجة إليه لا من الشرع ولا من السياق .." (٧٩).

السابع: مخالفته لجمهور المفسرين بعطف جملة إنشائية على جملة خبرية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾(٨٠).

عطف الإنشاء على الخبر وعطف الخبر على الإنشاء مسألة خلافية بين النحاة(٨١)، وقد منعه البيانيون(٨٢) وجمهور المفسرين(٨٣) إلا أن للشيخ الطاهر بن عاشور موقفاً مخالفاً لهم في ذلك؛ حيث اعتبر

٧٦- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٠، ص ٦٥.

٧٧- سورة التوبة، الآية: ٣٦.

٧٨- سورة التوبة، الآية: ٥.

٧٩- الزهراني، **أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير**، ص ٥٠٨.

٨٠- سورة مريم، الآية: ٤٦.

٨١- انظر: عباس حسن، **النحو الوافي**، أوند دانش للطباعة والنشر. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٥١١.

٨٢- انظر: ابن هشام الأنصاري، **حاشية الدسوقي** وبهامشه متن **مغني اللبيب**، منشورات الرضا ومنشورات زاهدي، قم، ج ٢ ص ١٢٨.

٨٣- انظر مثلاً التفاسير التالية: الزمخشري، **الكشاف**، مج ٣، ص ٢٠، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٢١، ص ١٩٥، البيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ٢، ج ٤، ص ١٢، **تفسير النسفي**، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار، دارالنفائس، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج ٣، ص ٦٠، أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج ٥، ص ٢٦٨، الآلوسي، **روح المعاني**، مج ٩، ج ١٦، ص ١٤٤.

أن الاختلاف بين الجملتين الإنشائية والخبرية اختلاف لفظي لا يؤثر على اتصال الجملتين أو انقطاعهما "لأن الاتصال والانقطاع أمران معنويان وتابعان للأغراض فالعبرة بالمناسبة المعنوية دون الصيغة اللفظية"(٨٤).

وعلى هذا الأساس فإنه عندما فسر قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾(٨٥) عطف جملة ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ على جملة ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وذكر أن أبا إبراهيم هدد ابنه "بعقوبة آجلة إن لم يقلع عن كفره بآلهتهم، وبعقوبة عاجلة وهي طرده من معاشرته وقطع مكالمته"(٨٦). وبالتالي فإن ابن عاشور قد أجاز العطف بين الإنشاء والخبر بسبب المناسبة المعنوية بين الجملتين وهي الجمع بين عقوبتين: عقوبة عاجلة وهي الرجم وعقوبة آجلة وهي الهجر.

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أن الزمخشري والبيضاوي قد تجنبا عطف الجملة الإنشائية على الخبرية، فقدرا معطوفاً عليه وهو "واحذرني" وعطفا عليه قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾، ليصير عطف جملة إنشائية على جملة إنشائية.

قال الزمخشري: "فإن قلت: علام عطف "واهجرني" قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه "لأرجمنك" أي فاحذرني واهجرني لأن "لأرجمنك" تهديد وتقريع"(٨٧). وفي هذا الصدد قال الآلوسي(٨٨) معقبا على كلام الزمخشري في عطف قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ على محذوف: "ولعل الداعي لذلك عدم اعتبار العطف على المذكور أنه لا يصح أو لا يحسن التخالف بين المتعاطفين إنشائية وخبرية"(٨٩). وقال البيضاوي: "قال: ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ عطف على ما دل عليه ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي فاحذرني واهجرني"(٩٠). في حين سكت ابن عطية عن بيان العطف بين الجملتين واعتبر أن قوله ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ كأنه أمر على حياله(٩١).

٨٤- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٨، ص ١٧٦.

٨٥- سورة مريم، الآية: ٤٦.

٨٦- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ١٦، ص ٤٩.

٨٧- الزمخشري، **الكشاف**، مج ٣، ص ٢٠.

٨٨- هو محمد بن عبد الله الحسيني الآلوسي، مفسر، محدث، أديب ولد ببغداد سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م. وتوفي بها سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٧، ص ١٧٦.

٨٩- الآلوسي، **روح المعاني**، مج ٩، ج ١٦، ص ١٤٤.

٩٠- البيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ٢، ج ٤، ص ١٢.

٩١- انظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٤، ص ١٨.

وبهذا يتضح جليا أن ابن عاشور قد خالف الأئمة الثلاثة وتفرد عنهم بما ذهب إليه من عطف الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية. والذي أراه في هذه المسألة أن ما ذهب إليه ابن عاشور يُعد صوابا، لأن اللجوء إلى الحذف والتقدير ليناسب بين جملتي العطف والمعطوف عليه غير لازم[٩٢]. خاصة وأن ابن عاشور قد عطف الجملة الإنشائية على الخبرية لوجود علاقة معنوية بينهما. وفي هذه المسألة يقول الدكتور الزهراني: "يمكن أن يلاحظ أن ابن عاشور لا يحب التعرض لكل ما رآه المفسرون من قبيل التعاطف بين الخبر والإنشاء على النحو الذي تعرضوا له، فبينما يرى جمهور المفسرين أن قوله تعالى على لسان والد إبراهيم ﴿ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾[٩٣] معطوف على محذوف يدل عليه قوله: ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾[٩٤] تقديره "فاحذرني واهجرني"، أقول: حينما يرى جمهور المفسرين ذلك نجد الطاهر بن عاشور يذهب إلى أن: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي ﴾ عطف على ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾، وذلك للتوصل إلى مناسبة عامة بين المعنيين ... وقد أعجب هذا الوجه بعض الباحثين[٩٥] ورجحه على مذهب الجمهور ووصفه بأنه أعلى من الذهاب إلى تقدير محذوف"[٩٦].

الثامن: مخالفته لجمهور المفسرين في ضمير المثنى في قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[٩٧].

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، ذكر أن ضمير المثنى في ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ خطاب للمؤمنين والكافرين، واعتبر أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين بعيد حينما ذكروا أن الخطاب موجه للإنس والجن. فقال: "وضمير المثنى في ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ خطاب لفريقين من المخاطبين بالقرآن. والوجه عندي أنه خطاب للمؤمنين والكافرين الذين ينقسم إليهما جنس الإنسان المذكور في قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾[٩٨] وهم المخاطبون بقوله: ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴾[٩٩] والمنقسم

٩٢- انظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٦، ص ٢٤١.

٩٣- سورة مريم، الآية: ٤٦.

٩٤- سورة مريم، الآية: ٤٦.

٩٥- هو الدكتور محمد توفيق سعد (باحث معاصر) في كتابه: **مسالك العطف بين الإنشاء والخبر**، مطبعة الأمانة، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٣٨.

٩٦- الزهراني، **أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه: التحرير والتنوير**، ص ٤٩٠.

٩٧- سورة الرحمن، الآية: ١٣.

٩٨- سورة الرحمن، الآية: ٣.

٩٩- سورة الرحمن، الآية: ٨.

إليهما الأنام المتقدم ذكره، أي أن نعم الله على الناس لا يجحدها كافر بله المؤمن، وكل فريق يتوجه إليه الاستفهام بالمعنى الذي يناسب حاله ... وقال جمهور المفسرين: هو خطاب للإنس والجن، وهذا بعيد..." (١٠٠).

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوجدتهم قد ذكروا أن الخطاب في قوله: ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١٠١) للثقلين: الإنس والجن.

فقال الزمخشري: "والخطاب في ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ للثقلين بدلالة الأنام عليهما. وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾"(١٠٢) (١٠٣). وقال ابن عطية: "والضمير في قوله ﴿رَبِّكُمَا﴾ للجن والإنس، وساغ ذلك ولم يصرح لهما بذكر، على أحد وجهين: إما أنهما قد ذكرا في قوله ﴿لِلْأَنَامِ﴾(١٠٤) على ما تقدم من أن المراد به الثقلان، وإما على أن أمرهما مفسر في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَنَ﴾(١٠٥)، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾(١٠٦)، فساغ تقديمهما في الضمير اتساعا..." (١٠٧). وقال البيضاوي: "﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾"(١٠٨).

والحق أن ما ذهب إليه جمهور المفسرين(١٠٩) بما فيهم الزمخشري وابن عطية والبيضاوي هو الراجح، وما ذهب إليه ابن عاشور هو البعيد، لأن الله تعالى قد ذكر في هذه السورة الثقلين وصرّح بذكر

١٠٠- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٧، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

١٠١- سورة الرحمن، الآية: ١٣.

١٠٢- سورة الرحمن، الآية: ٣١.

١٠٣- الزمخشري، **الكشاف** مج ٤، ص ٤٢٤.

١٠٤- سورة الرحمن، الآية: ١٠.

١٠٥- سورة الرحمن، الآية: ١٤.

١٠٦- سورة الرحمن، الآية: ١٥.

١٠٧- ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٥، ص ٢٢٦.

١٠٨- البيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ٢، ج ٥، ص ١٧١.

١٠٩- انظر مثلاً التفاسير التالية: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٢٩، ص ٨٤، أبو حفص عمر، **تفسير اللباب**، ج ١٨، ص ٢٩١، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج ١٧، ص ١٥٨. أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٨، ص ٢٧٠، أبو سعد، **إرشاد العقل السليم**، ج ٨، ص ١٧٨. الآلوسي، **روح المعاني**، مج ١٥، ج ٢٧، ص ١٥٩.

الإنس والجن، والمصرح به مقدم على غير المصرح به. فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١١٠). وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١١١). والثقلان هما الإنس والجن. وقال عز وجل: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١١٢).

فالظاهر أن ضمير المثنى في هذه الآيات عند قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ خطاب للإنس والجن؛ لأن السياق يقتضيه. وليس خطابا للمؤمنين والكافرين كما جعله ابن عاشور في هذه الآيات وفي غيرها من آيات سورة الرحمن.

وقدم الله تعالى ذكر ضمير المثنى في قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١١٣) وفسره بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾(١١٤)، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾(١١٥) فساغ تقديمهما اتساعاً(١١٦).

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على الجن القرآن، فعن عبد الله بن مسعود(١١٧) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني داعي الجن فذهبت معهم، فقرأت عليهم القرآن"(١١٨).

١١٠- سورة الرحمن، الآيات: ١٤ ـ ١٦.

١١١- سورة الرحمن، الآيتان: ٣١، ٣٢.

١١٢- سورة الرحمن، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

١١٣- سورة الرحمن، الآية: ١٣.

١١٤- سورة الرحمن، الآية: ١٤.

١١٥- سورة الرحمن، الآية: ١٥.

١١٦- انظر ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٥، ص ٢٢٦، وانظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٧، ص ١٥٨.

١١٧- هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن هذيل، صحابي جليل، هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب نعليه، مات بالمدينة سنة ٣٢هـ. انظر: ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، مكتبة المثنى، بغداد، العراق. القسم الأول حرف العين رقم ٤٩٤٥، ج ٦، ص٢١٦.

١١٨- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، حديث رقم ٤٥٠، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ج١، ص ٣٣٢.

ومما ذكره ابن كثير[١١٩] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[١٢٠] إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١٢١] قوله: "﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين: الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾"[١٢٢].

التاسع: بيانه لفائدة عطف ﴿ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[١٢٣] على ما قبلها.

عند تفسير الطاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[١٢٤] ذكر أنه لم ير في التفاسير التي بين يديه من عرج على فائدة عطف ﴿ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على ما قبلها ما عدا المهائمي[١٢٥] الذي ذكر أن كون جدال المشركين مقتا عند الله لا يحصل في علم الناس إلا بالخبر فزيد الخبر تأييدا بالمشاهدة فإن الذين آمنوا على قلتهم يومئذ يظهر بينهم بغض مجادلة المشركين[١٢٦].

ثم أتى ابن عاشور بفائدة يرى أنها أظهر مما جاء به المهائمي فقال: "وعندي : أن أظهر من هذا أن الله أراد التنويه بالمؤمنين ولم يرد إقناع المشركين فإنهم لا يعبأون ببغض المؤمنين ولا يصدقون ببغض الله إياهم فالمقصود الثناء على المؤمنين بأنهم يكرهون الباطل كما قال ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

١١٩- هو إسماعيل بن كثير أبو الفداء، صاحب التاريخ والتفسير ... ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: جمال الدين يوسف الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج ١١، ص ١٢٣.

١٢٠- سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

١٢١- سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

١٢٢- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مؤسسة الريان، الضاحية، الكويت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مج ٤، ص ٢١٦.

١٢٣- سورة غافر، الآية: ٣٥.

١٢٤- سورة غافر، الآية: ٣٥.

١٢٥- هو علي بن أحمد بن علي المهائمي، ولد في مهائم بالهند سنة ٦٧٦هـ/ ١٣٧٤م وتوفي بها سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م. من مؤلفاته: **تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن**. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٤، ص ٢٥٧.

١٢٦- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٤، ص ١٩٦.

يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١٢٧) مع الإشارة إلى تبجيل مكانتهم بأن ضمت عنديتهم إلى عندية الله تعالى على نحو قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾(١٢٨) وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٢٩) وقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾"(١٣٠)(١٣١).

وقد رجعت إلى تفاسير الأئمة الثلاثة: الزمخشري وابن عطية والبيضاوي؛ فوقفت على أنهم قد سكتوا عن بيان عطف ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾(١٣٢) على ما قبلها(١٣٣). وبالتالي فإن ابن عاشور قد تفرد عنهم ببيان ذلك.

الخاتمة:

ختاماً لهذا البحث أقدم تلخيصاً للنتائج التي توصلت إليها، وهي كالتالي:

١- بلغت التفردات النحوية التي تفرد بها ابن عاشور في تفسيره عن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي في تفاسيرهم تسعة تفردات كما تبيّن لي.

٢- إن هذه التفردات فيها الراجح وفيها المرجوح. فالراجح منها ستة تفردات والمرجوح منها ثلاثة.

٣- إن **التحرير والتنوير** موسوعة علمية جمع فيه صاحبه العلوم الشرعية والعربية وبعض العلوم العصرية.

٤- إن هذا التفسير فيه اهتمام كبير بالجانب النحوي.

٥- إن جل هذه التفردات التي وقفت عليها لم تكن فقط عن الزمخشري وابن عطية والبيضاوي بل هي أيضا تفردات عن جمهور العلماء والمفسرين.

١٢٧- سورة التوبة، الآية: ٧١.

١٢٨- سورة آل عمران، الآية: ١٨.

١٢٩- سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

١٣٠- سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

١٣١- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٤، ص ١٩٦.

١٣٢- سورة غافر، الآية: ٣٥.

١٣٣- انظر التفاسير التالية: الزمخشري، **الكشاف**، مج ٤، ص ١٦٢، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مج ٤، ص ٥٥٩، البيضاوي، **أنوار التنزيل**، مج ٢، ج ٥، ص ٥٧.

٦- إن ما أتى به ابن عاشور من تفردات، برهن بها للعلماء والباحثين أن المتأخر بإمكانه أن يأتي بما لم يأت به المتقدم، وأن باب الاجتهاد ما زال مفتوحًا، وأن التدبر والتفكر في كتاب الله سبيل مهم للكشف عن المستور ودقائق الأمور.

٧- توصلت من جراء البحث إلى أن ما ادّعاه ابن عاشور في مقدمة تفسيره، حينما ذكر أنه سيأتي بنكت علمية لم يسبق إليها(١٣٤)، ادّعاء صحيح، فقد كشف بحثنا العلمي بكل موضوعية عن عدد هائل من هذه النكت التي تفرد بها ابن عاشور ولم يسبق إليها.

٨- إن كلاً من ابن عاشور والزمخشري وابن عطية والبيضاوي أئمة أجلاء، وعلماء أفاضل وقفوا كل حياتهم على خدمة العلم، وقضوا السنين في تفسير كتاب الله تعالى، وتعتبر تفاسيرهم من أهم مصادر التفسير لا يمكن الاستغناء عنها أو عن أحدها.

٩- إن القرآن الكريم وأسرار الآيات بحر محيط لا ساحل له. وإنه مهما اجتهد المفسرون وتفانوا في شرح الآيات، فإن آيات الإعجاز وأسرار هذا الكتاب لا تنتهي. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١٣٥).

****

١٣٤- انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧.

١٣٥- سورة لقمان: الآية ٢٧.